ولا تعبأ من ذمه

فأجاب من غير استحياء، ولا ارتياء، وقال:

تبصر ودع اللوم ... وقل لي هل ترى اليوم ... فتى لا يقمر القوم ... متى ما دسته تم

فقلت له بعداً لك يا شيخ النار، وزاملة العار، فما مثلك في طلاوة علانيتك، وخبث نيتك، إلا مثل روث مفضض، أو كنيف مبيض، ثم تفرقنا فانطلقت ذات اليمين، وانطلق ذات الشمال، وناوحت مهب الجنوب، وناوح مهب الشمال.

المقامة الثانية عشرة وتعرف بالغوطية

حكى الحارث بن همام قال: شخصت من العراق إلى الغوطة، وأنا ذو جرد مربوطة، وجدة مغبوطة، يلهيني خلو الذرع، ويزدهيني حفول الضرع، فلما بلغتها بعد شق النفس، وإنضاء العنس، ألفيتها كما تصفها الألسن، وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، فشكرت يد النوى، وجريت مطلق الهوى، وطفقت أفض بها ختوم الشهوات، وأجتني قطوف اللذات، إلى أن شرع سفر في الإياب، وقد أشفقت من الأعراق، وعاودني عيد من تذكار الوطن، والحنين إلى العطن، فقوضت خيام الغيبة، وأسرجت جواد الأوبة، ولما تأهبت الرفاق، واستتب لهم الاتفاق، اختار من المستبرزين استصحاب الخفير، وارتدناه من كل قبيلة، وأعملنا في تحصيله كل حيلة، فأعوز وجدانه في الأحياء، حتى خلنا أنه ليس من الأحياء، فحارت لعوزه عزوم السيارة، واجتمعوا على باب جيرون للاستشارة، فما زالوا بين عقد وحل، وشزر وسحل، إلى أن نفد التناجي، وقنط الراجي، وكان بحذائهم شخص منتمة شارته منسم الشبان، ولبوسه لبوس الرهبان، وبيده سبحة السوان، وفي عينيه ترجمة النشوان، وقد قيد لحظه بالجمع، وأرهف أذنه لاستراق السمع، فلما آن انكفاؤهم، وقد برح الخفاء، قال لهم: يا قوم ليفرخ كربكم، وليأمن سربكم، فسأخفركم بما يسري روعكم، ويبدو طوعكم، قال الراوي: فاستطلعنا منه طلع الخفارة، واعتنيناه الجعالة عن السفارة، فزعم أنها كلمات لقنها في المنام، ليحترس بها من كيد الأنام، فجعل بعضنا يومئ إلى بعض، ويقلب طرفه بين لحظ وغض